

تفريغ من سلسلة

فصل الكلام في نواقض الإسلام

الصادرة عن إذاعة البيان



مؤسسة البتار الإعلامية

تُقـــدِّم :

- تفريـــغ مـــن ســـلســـلة -

فصـــل الكـــلام في نواقض الإســـلام

الصادرة عن إذاعة البيان التابعة للدولة الإسلامية

الحلقـــــة الثـــانيـــة عشـــر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

تكلمنا أيها الأحبة فيما مضى عن الدعاء والاستغاثة وبيّنا أوجه الشرك التي يقع فيها بعض الناس، ونكمل إن شاء الله تعالى في مجلسنا هذا للحديث عن الاستعاذة والاستعانة.

أيها الأحبة إنّ الاستعاذة والاستعانة والاستغاثة هي من أنواع الدعاء إجمالًا، إلّا أنّ بعض صور الاستعاذة والاستعانة خرجت عن مسمى الدعاء، الفرق بين هذه الألفاظ الثلاث أنّه إذا وقعت عليك الشدة وطلبت الإنقاذ منها والغوث فهذا يسمى استغاثة، هي طلب الإنقاذ بعد الشدة، أمّا إذا لم يقع عليك الشر لكنك تحذره وتترقب وقوعه فالتمست الحماية منه فهذه تسمى استعاذة، والاستعانة هي طلب العون في كل الأمور.

ونبدأ إن شاء الله تعالى في الحديث عن الاستعاذة، الاستعاذة أيها الأحبة لغة مأخوذة من العِوَذ وهي الالتجاء والاحتماء، الاستعاذة هي طلب الإعاذة أي الحماية من مكروه، فمن استعاذ بشيء فقد احتمى به واعتصم به، الاستعاذة هي أن تطلب الحماية من مكروه، والاستعاذة أيها الأحبة هي أنواع:

أولًا: الاستعاذة بالله عز وجل، يعني الاعتصام بالله، والالتجاء إليه سبحانه، وطلب الحماية منه، والاحتماء به من المكاره والشرور وأنواع المخاوف، فأن تعتصم به سبحانه وتحتمي به وتلتجأ إليه من سائر أنواع الشرور والمكاره هذه هي الاستعاذة بالله، **قال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢] وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ**

النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) [الناس: ١-٦] وهذا دأب النبي -صلى الله عليه وسلم- لمّا كان يدعو: (لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ)، فالمسلم يستعيذ بالله أي يلتجأ إليه ويحتمي به ويعتصم به سبحانه، وهذه الاستعاذة عبادة لله عز وجل يثاب عليها المرء، وفيها حقيقة إظهار للتوحيد.

ومن هذا القبيل تجوز الاستعاذة بصفة من صفات الله كعظمته وكلماته وعزته ووجهه ونحو ذلك، ومن الأدلة عليه كما في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) فاستعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بكلمات الله، وكذا في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)، وكذا: (أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ)، وكذا كما في دعاء الألم: (أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، وَأُحَاذِرُ)، فاستعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بعزة الله وبقدرة الله، وكذا كما في البخاري لمّا نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: ٦٥] قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ) فاستعاذ بوجه الله عز وجل.

إذا فالاستعاذة بصفة من صفات الله هي استعاذة محمودة، وهي من التوحيد، وهي استعاذة بالله عز وجل، وهي من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أمّا الاستعاذة الشركية فهي الاستعاذة بالأموات سواء كانوا أولياء أو أنبياء أو صالحين، الاستعاذة بالأموات مطلقًا، وكذلك الاستعاذة بالأحياء غير الحاضرين هذا كله من الشرك، يدخل في هذا الاستعاذة بالملائكة أو الاستعاذة بالجن، فهم وإن كانوا أحياء إلّا أنهم غير حاضرين وغير قادرين على العوذ، قال تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) [الجن: ٦]، وهذا أنّه كانت العرب في جاهليتها، كانوا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري

وغيرها كانوا يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، ولذلك كان قائلهم يقول إذا نزل أرضًا: "أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي"، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا.

إذًا فالاستعاذة والاحتماء وطلب الالتجاء بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين من الملائكة والجان ونحوهم هذا كله شرك أكبر، وهذا مثل قول بعض الناس: "أجرنا يا رسول الله" نعوذ بالله، أو كما يقول بعض الصوفية لمشايخهم: " يابو دخيلك" كما عند الطائفة الخزنوية الكافرة المارقة، وكذا كما عند بعض الطرق من أنّهم يستمدون الحماية والإعاذة من الشيخ وبصورته، وهذا كله من الاستعاذة الشركية.

أمّا الاستعاذة الجائزة المباحة فهي أن يستعيذ الإنسان ويحتمي بما يمكن العوذ به والاحتماء من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز، كما لو طلبك ظالم وسعى في طلبك فذهبت واحتميت بأحد الناس واختبأت في بيته هذا كله من الاستعاذة الجائزة، أو مثلًا أن يحتمي الإنسان بمكان قد لا يصله سلطان العدو فيختبئ فيه أو يحتمي فيه فهذا أيضًا من الاستعاذة الجائزة، وهذا يشاهده الإنسان في واقع حياته، خاصة المجاهدون الذين يتخذون السواتر ويحتمون بها من نيران العدو، هذه كلها تدخل ضمن الاحتماء الجائز أو الاستعاذة الجائزة، قال -صلى الله عليه وسلم-: (سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)، ثمّ قال: (وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)، وعند مسلم قال: (فَإِذَا نَزَلَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ)، فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)، والإنسان يجوز له أن يستعيذ ويحتمي بما يمكن أن يحتمي به، وهذا من الاستعاذة الجائزة.

ثم ننتقل إلى مسمى الاستعانة، قلنا أنّ الاستغاثة -وكنا قد ذكرناها في الدرس الماضي- الاستغاثة هي طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك، وذكرنا في هذا المجلس أنّ الاستعاذة هي طلب الحماية من مكروه.

أمّا الاستعانة فهي طلب العون واستمداده في كل الأمور، قال الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥] أي نخصّك بالعبادة ونخصّك بالاستعانة، فالاستعانة المتضمنة للافتقار إلى الله والخضوع والذل هي عبادة، الاستعانة المتضمنة للذل والخضوع والافتقار هذه عبادة لا تصرف إلّا لله، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قدّم هنا ما حقّه التأخير فأفاد هذا الحصر والاختصاص، أي نخصّك يا ربنا بالعبادة ونخصّك بالاستعانة، فلا نعبد سواك ولا نستعين بأحد سواك، وهذا دلّ عليه حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ)، إذًا الاستعانة أيها الأحبة المتضمنة للذل والخضوع والافتقار هي عبادة لا تصرف إلّا لله.

والاستعانة بالله أيها الأحبة من أعظم العبادات، وهي طلب العون من الله والاعتماد عليه بجلب المنافع ودفع المضار وتفويض الأمر إليه والتوكل عليه، وهذه لا تكون إلّا لله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ومن استعان بالله في أموره فليبشر بالمعونة.

ثمّ اعلم -وهنا نكتة بديعة- أنّ الله عز وجل قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، فالاستعانة من أنواع العبادة فلمَ خصّها الله في الذكر هنا؟ ذلك لأنّ الاستعانة عبادة ملازمة لكل عبادة؛ لذلك خصّت بالذكر، الاستعانة عبادة لازمة لكل عبادة، فأنت الآن لا تستطيع أن تصلي إلّا إذا أعانك الله، ولن تقدر على الجهاد إلّا بالاستعانة بالله، ولن تقدر على الغزو إلّا بالاستعانة بالله، بل ولن

تثبت على دين الله إلّا بالاستعانة بالله، فالاستعانة ملازمة لكل عبادة، فأنت تفتقر إلى عون الله في كل العبادات؛ لذلك خصّت بالذكر، وهذه والله نتناصح فيها أن نتذاكر دائمًا الاستعانة وأن نستعين بالله في كل أمورنا ونمضي، فهنا نفتقر إلى الله ونبرأ من حولنا وقوتنا.

أمّا الاستعانة الشركية فهي الاستعانة بالأموات مطلقًا أو بالأحياء الغائبين من الأولياء والمشايخ ونحوهم، هذا كله شرك أكبر، وكذلك الاستعانة بالأحياء على أمر لا يقدرون عليه، من استعان بحي وطلب منه العون أن يرزق أو يشفي هذا كله شرك، شرك في الألوهية وشرك في الربوبية أيضًا، فلا يجوز أن يستعين الإنسان بالأموات ولا بالأحياء في أمر لا يقدر عليه إلّا الله جل جلال الله.

ومن قبيل هذه الاستعانة الشركية ما يفعله بعض المشركين حينما يذبح ويقول: "باسم الشيخ" أو "باسم الولي" أو "باسم الضريح" أو نحو ذلك، فعدا أنّه أشرك في الذبح أيضًا، أيضًا أشرك في الاستعانة؛ لأنه استعان بشيخه أو بالقبر أو بالضريح وهذا شرك.

ومن هذا القبيل أيضًا شرك العلمانيين وغيرهم الذين يقولون: "باسم الشعب" أو "باسم الوطنية" أو نحو ذلك، ويستعينون بأعمالهم على هذا.

أمّا الاستعانة الجائزة المباحة فهي الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، أن تستعين بالمخلوق في أمر يقدر عليه كما لو أنّك تعاونت مع أخيك على حفظ القرآن أو تعاونت معه على أمر دنيوي مباح حتى أو تعاونت معه على أمر فيه طاعة فهذا كلها من الاستعانة الجائزة، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، ويدخل في هذا أيضًا الاستعانة بالأعمال

والأحوال المحبوبة إلى الله عز وجل، والتي فيها إعانة على الطاعات والعبادات كما قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٣] فلا بأس أن يستعين الإنسان على بعض الأعمال بأعمال أخرى.

ونكون بذلك أيها الأحبة قد أتممنا الحديث عن شرك الدعاء والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة،
وفي درسنا القادم إن شاء الله نكمل لنبيّن أنواع الشرك في العبادات الأخرى وبالله التوفيق،

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



لا تنسونا من صالح دعائكم

نُشر في:

← الجمعـــــة ٢٢ / ٠٥ / ١٤٤١ هـــ →